العمل أو الموت

رفع الألمان بعد الحرب شعار: (العمل أو الموت). فتحوّلت ألمانيا إلى ورشة عمل، وبعد أربع سنوات صارت دولة صناعية مرموقة، وفي كتاب (متعة الحديث) يقول إسحاق نيوتن: النجاح يحتاج إلى ثلاثة عوامل: العمل ثم العمل ثم العمل، والعمل يبدأ بالعلم، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ والعلم يبدأ بالقراءة، وأمة لا تقرأ لن تتعلّم، ولن تعمل، ولن تنال المجد، وفي مقال لي سابق بعنوان: (العرب لا يقرؤون) بيّنتُ ما يلزمنا في هذا الباب، وأمة لا تعمل لا تستحق البقاء، والإسلام جاء بالعلم والعمل، وقد أعطى الرسول ﷺ رجلاً فأساً وأمره أن يحتطِب ويبيع، لئلا يبقى عالة على المجتمع، وضرب عمر بن الخطاب شباباً جلسوا في المسجد، وتركوا الكسب، واعتمدوا على جيرانهم، وصاح في وجوههم: اخرجوا واطلبوا الرزق، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وشارك الرسول ﷺ بنفسه في بناء مسجده، وحفر مع الصحابة الخندق، وقال: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنَه**»، وقال: «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**»، وكان إدريس خيّاطاً، وزكريّا نجاراً، وداود حداداً، ورعى موسى الغنم بالأجرة.

ومن أسباب تقدم الغرب اعتماده على العلوم العملية التطبيقيّة فدخل المصانع والمعامل، واعتمدنا على العلوم النظرية فانشغلنا بالجغرافيا، حتى حفظنا عن ظهر قلب أسماء عواصم تشاد والسنغال وأوغندا، وحفظنا نقائض جرير والفرزدق، وهي لا تُطعم خبزاً ولا ترفع مجداً، وأسرفنا في الفنون والرياضة على حساب الإبداع والاختراع والصناعة. والإنتاج خدعة شيطانيّة ولعبة إبليسيّة، فمنتخب الكمرون الرياضي أقوى من منتخب الولايات المتحدة الأمريكية، بينما عجزت الكمرون عن إطعام رعاياها الخبز اليابس، وإذا أرادت الشعوب أن يحالفها الإخفاق، ويُختم لها بالخذلان تحوّلت من الجامعات إلى الكبريهات، ومن المصانع إلى مقاهي اللهو، ومن الإنتاج والإبداع إلى لعب الورق وأكل الفصفص.

رأيت في ألمانيا (مزاين المرسيدس)، وفي فرنسا (مزاين الكونكورد سابقة الصوت)، وفي أمريكا (مزاين أف ١٦ العاصفة القاصفة)، ولأننا أقمنا (مزاين الإبل)، فينبغي أن نقيم مهرجانات (مزاين العقول)، لنحيّي فيها الموهوبين، ونكرم المبدعين، ونشجع المخترعين والمكتشفين.

فينبغي أن نعالج مرضانا النفسيين بالإيمان والعمل؛ لأن الفراغ يولّد لهم الخيالات الفاسدة، التي توصل صاحبها إلى الانتحار، والعمّال أسعد الناس وأشرحهم صدوراً؛ لأنهم ليس عندهم فرصة للتفكير الخاطئ، وأي دولة لا تتحوّل إلى ورشة عمل هي دولة نامية نائمة كُتب عليها الموت، وإذا عملنا واجتهدنا فسوف تتقلّص مشكلاتنا وبطالتنا وفقرنا وأمراضنا، ولنرفع شعار (نأكل مما نزرع، ونلبس مما نصنع) وفي قصيدة: (أنشودة الصباح) للروائي الهندي كاليدا ساي: «استقبل يومك بالعمل، فإن هذا اليوم قد لا يُشرِق مرة ثانية».

إن عَرَق العامل أزكى من مسك الفاشل، وإن ساعد المثابر أكرم من جبين الكسلان، وإن زفرات البنّاء أجمل من غناء المترف:

لَقَد أَسمَعت لَو نادَيت حَيّاً
وَلَكن لا حَياةَ لِمَن تُنادي

وَلَو نار نفخت بِها أَضاءَت
وَلَكن أَنتَ تَنفخُ في رَمادِ

شكراً لكل مسؤول جلس على كرسيّه يعدِلُ في القضايا، ويقمع الظالم، وينصر المظلوم، ويواسي المنكوب، شكراً لكل أستاذ وقف يصحح مفاهيم، ويصلح قلوباً، ويبني عقولاً، شكراً لكل طبيب يعالج مريضاً، ويداوي مبتلى، ويضمّد جراحاً، شكراً لكل مزارع يغرس شجرة، ويعدّل ماءً، ويحرث أرضاً، شكراً لكل جندي يحمي ديناً، ويحرس وطناً، ويدافع عن أمة، شكراً للسواعد القويّة، والهمم الوثّابة، والأفكار الخلّابة، وشكراً للناجحين.

مستعدون لحوار الأديان

الدعـوة التـي أطلقها خـادم الحرمين الشريفين لحـوار الأديان دعـوة موفّقة، متفقة مع منهجنا الإسلامي في حوار غير المسلمين؛ لأن معنا حجة من الله، وبرهاناً ساطعاً، ودليلاً قاطعاً، ومعنا دينًا عالميًّا ربّانيًّا، يدعو إلى الحوار والمجادلة بالحسنى، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، بـل أمرنا سبحانـه وتعالى أن ندعوهم إلى المناظرة والمحاورة بالأجمل من القول والأفضل من الأساليب، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

بـل إن رسولنـا ﷺ حـاور أهل الكتـاب من اليهـود والنصـارى، وزارهم في أماكنهم، وأكل طعامهم، وزاروه في بيته، وأكلوا طعامه، وعرض عليهم الأدلة على صدقـه وصـدق رسالته، ونحن لا نخشى حوار الأديـان؛ فعندنا -والحمد لله- من الحـق الواضـح الصريح والميراث المجيد من كتاب الله وسنـة رسوله ﷺ ما يبهر العقـل، ويشـرح الصدر، ويجعل المخالـف المنصف يذعن للحجـة إذا كان قصده الحق، وإلا فكيف نُسْمِـع دعوتنا العالم إذا أغلقنا أبواب الحوار، ورفضنا الجلوس مـع غـير المسلمين؟ ولمـاذا نخاف مـن مقارعة الحجـة بالحجة والدليـل بالدليل والفكرة بالفكرة، وليس عندنا شيء نخفيه؟ ومبادئنا قويّة صريحة واضحة وضوح الشمس، تُعلن كل يوم خمس مرات من على المآذن ومن فوق المنابر، وفي الجامعات والمنتديات، وعبر الفضائيات وفي الصحف والمجلات.

إن رسالتنا الإسلامية لم تأتِ لعدة ألوف من البشر، ولا لقبيلة من القبائل، ولا لدولـة واحدة، ولا لجيـل واحد، فالله يقول لنبيّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ كل العالمين؛ الأبيض والأحمر والأسود، في كل زمان وفي كل مكان، منذ فجـر الرسالة إلى أن يـرث الله الأرض ومن عليها، والواجب على علمائنا ودعاتنا

أن يكـون عندهم من القـوة والرغبة في إيصال الحق الذي نعلـمُ إلى كل العالمين، ولا بـد من أن يستمع لنا أهل الكتاب كمـا استمعنا لهم كثيراً، وأن يؤمنوا برسولنا محمـد بن عبدالله ﷺ، وأن يوقِّروه وأن يحترموه، كما آمنا بموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام، ووقَّرناهم واحترمناهم.

إن مِـن الأمم مَنْ وصله إسـلامٌ مشوَّه، قدَّمه أناس من المسلمين ليس عندهم الأهليـة لتمثيل الإسلام، فتعرّف أولئك القوم على صورة مشوَّهة للإسلام، ليست صورتـه الجميلـة الباهيـة، فمن هنا وجـب على الثقات مـن أهل العلـم والدعوة والفكر أن يقوموا بمهمتهم، فيشرحوا للآخرين تعاليم الإسلام الراشدة وأخلاقه الفاضلـة، ويزيلـوا اللّبس الذي علق بأذهـان خصوم الإسـلام، ويرفعوا الإشكال والشُّبـه، التـي تحكّمت في قلوب الجاهلـين بالإسلام، وأنا ضامـن أن مَنْ ينصت لنـا من غير المسلمين، ويستمع لحجتنا، ويتفهّـم رسالتنا وهو عاقل واعٍ، فسيذعن للحقيقة وينقاد للبرهان.

إن البيـان أقـوى من السـلاح، وإن البرهان أمضى من السيـف، وإن الحجة أنفذ من السهم، نحن في تاريخنا المشرق المجيد فتحنا القلوب والأسماع والأبصار بالحجج والبيّنات والآيات والعظات، أكثر مما فتحنا بالكتائب والجيوش والسيوف والرمـاح، واسألـوا إن شئتـم إندونيسيـا وماليزيـا ودول أفريقيـا والجمهوريات الإسلامية: هل وصلهم منّا جندي واحد أو دبّابة واحدة؟ بل أرسلنا لهم رسل سلام ووفود محبّة من السيّاح والتجار، فلما رأى أولئك سيرة أبنائنا وصدقهم وأمانتهم وأخلاقهم النبيلة، صاح لسان الحال منهم قائلاً: نشهد أن ديناً أخرجكم أنه دين حق. فاعتنقوا الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجاً.

فيـا خادم الحرمـين امضِ بالعلماء في مشـروع إسلامي يقـوم على الحوار والدليـل، ويجمّـل صورة الإسـلام، ويشرح للعالمـين أهدافنا الربّانيّـة من توحيد الله عـز وجل، والرحمة بعباده، وإخراج النـاس من الظلمات إلى النور، والتعايش

السلمي مع البشرية، وإنقاذ الضالين الذين يحاربون الله ورسله، وهداية الحيارى إلى طريق الحق المبين، وصدق الله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

من هو الإرهابي؟

ما زلتُ على إنصافي للغرب في جوانب من حياتهم في مجتمعاتهم، أما غيرها ففيهم متطرفون يتهمون المسلمين بالإرهاب، وهم أكثر إرهاباً، وأعظم تقتيلاً، وأشدُّ تنكيلاً، وسبب هذا الحديث: أن المتطرف الهولندي جيرت فيلدرزبسبت قدّم (فلْماً) قبيحاً عن الإسلام، وطعن في القرآن، واتهم المسلمين بالإرهاب، ومن ضمن (الفلم) أخذ مقطعاً لي أتكلم فيه عن جهاد المحتل، فمسخ الكلام وشوَّهه، ووظّفه في الدعوة إلى الإرهاب، فمن الإرهابي؟.

أليس الإرهابي من احتل العراق ودمّره، وقتل أبناءه، وذبح شيوخه، ورمَّل نساءه، وأحرق أرضه؟ أليس الإرهابي من أباد الشعب الفلسطيني وحاصره، وجوَّعه وعذَّبه، وحبسه ونكَّل به؟ أليس الإرهابي من اجتاح أفغانستان ومزَّق أشلاء الأطفال ولعب بجماجم الرجال، ودك المساجد، ومزّق المصاحف؟ واقرؤوا كتاب (كنت رئيساً لـ CIA لـ ألن دلس) لتعرفوا أي إرهابي لديكم، أنتم نهبتم خيرات الشعوب، وجوَّعتم أطفالها، وأنتم بنيتم حضارتكم على جماجم البؤساء وضلوع الزنوج الذين حملتموهم بضائع على سفنكم، وأنتم نشرتم في الأرض الرعب والخوف والنفايات النووية.

سلوا مياه الخليج والبحار والمحيطات عن حاملات الطائرات والصواريخ عابرات القارات: هل نحن إرهابيون، والقتلى منّا، والأرض المسلوبة أرضنا؟ والخيرات المنهوبة خيراتنا، والشعوب المسحوقة شعوبنا، والأطفال المروّعة أطفالنا؟ إن إرهابنا لكم مجرد نكتة عابرة، أما أنتم فأساطيلكم في بحارنا، وقواعدكم في أوطاننا وطائراتكم في سمائنا، وأنتم منذ قرنين من الزمان تعاملون غيركم معاملة المقهور المضطهد، ومنذ محاكم التفتيش في أسبانيا وحرب المائة عام بين فرنسا وبريطانيا وأنتم مُشْعِلو الحروب، أليست النازية من صنعكم؟ والمحرقة إحدى إنجازاتكم، التي تعترفون بها، ونحن ندفع كفارة محرقتكم في فلسطين،

وتريدوننا بعد هذا كله أن نكون معكم مسالمين طيّبين حلوين مهذّبين مؤدّبين (كويّسين)؟ قاتل الله الطيش والسفه، وسحقاً للجور والعدوان، وتباً للعنجهيّة والاستكبار، ولقد قلتُ في المقطع الخاص بي من (الفلم): (إن المحتل لا يخرج إلا بجهاد وتضحيات) فهل في هذا الكلام عوج أو خلل؟ أما أخرجتم أنتم المحتلين من بلادكم: كهتلر في هولندا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا بجماجم وتضحيات؟ أما وحّدتم بلادكم بالحديد والنار: كالولايات المتحدة وألمانيا؟

إن الإرهابي هو الملحد المحارب لله، المكذّب للرسالات السماوية، إن الملحد هو المشوَّه فطرةً، البغيض خِلْقةً، الناكث للعهود، العدو للقيم والمواثيق والأعراف، إن الإرهابي هو الخارج عن الجماعة المسلمة، الناكث للبيعة، المكفِّر للمؤمنين، المستحل للدماء والأنفس والأموال، إن الإرهابي هو ناشر الدمار والرعب، والمستولي على مقدرات الشعوب وخيرات الأمم.

نحن دعاة الإسلام رُسُل سلام، وفود محبَّة، تحمل رسالة إنقاذ، ودعوة رحمة، وخطاب نجاة، ومشاعر فضيلة، ونصوص إيمان، ولقد آمنا برُسُلكم: كموسى وعيسى عليهما السلام فآمنوا برسولنا محمد ﷺ، ولقد أنصفناكم في جوانب إيجابيّة من حياتكم، فأنصفونا كما أنصفناكم، وأنصتوا لنا قليلاً فقد استمعنا لكم كثيراً: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

إن رسولنا ﷺ أخبرنا: أن الله عذّب امرأة بسبب أنها عذّبت هرّة في الدنيا، وأن الله أدخل امرأة عاصية الجنة، لأنها سقت كلباً بلغ به العطش مبلغاً عظيماً وإن ديننا يُحرِّم إحراق النمل وإيذاء البهائم فكيف بالإنسان؟ ديننا جاء لحياة النفوس لا لقتلها، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

يا عقلاء السُنّة والشيعة

ما دمنا لم نستطع حل الخلاف بين السنة والشيعة وقد مضى عليها قرون، فعلينا أن نعترف أن الخلاف حاصل، وأن الواجب علينا ألّا نطور هذا الخلاف إلى صراع دموي، فكفانا جراحاً وتمزقاً، فعندنا نحن أمة الإسلام من المصائب ما يكفينا، والصهيونيّة العالمية تتربص بنا وتخطط لاجتثاثنا، ما فائدة إعادة خطب الشتم والتجريح والتحريض والاستعداء وذكر المثالب والمعائب عند الطائفتين؟ ما هو النفع المأمول من السعي لسفك الدم السنّي أو الشيعي؟ إن كل طائفة من السنّة والشيعة تعتقد صحّة مذهبها وبطلان المذهب الآخر، فلن تستطيع أن تغير قناعات الناس إذا أصروا عليها ولو كانت باطلة.

نحن أهل السنة نعتقد أن الحق معنا كتاباً وسنّة، وإذا كان الشيعة يرون أننا مقصرون في حق أهل البيت، فإننا نعلنها صريحة قويّة بأننا نبرأ إلى الله مِن كل مَنْ هوّن من شأن أهل البيت أو تعرّض لهم أو سبهم، ونطالب الشيعة بالكف عن انتقاص الصحابة وسبّهم وثلبهم؛ فالدفاع عن أهل البيت والصحابة واجب على كل مسلم ومسلمة، إن على عقلاء الطائفتين سنّة وشيعة أن يسعوا لوأد الفتنة، ومنع التصعيد، وحذف عبارات التخوين والتربص والوعيد.

يا عقلاء السنة والشيعة انزعوا فتيل الإحن، وأطفئوا نار الفتن، ولا تزيدوا الأمة محناً على محن، يا عقلاء السنّة والشيعة كلٌّ يعمل على شاكلته، وكلٌّ يسير على طريقته، حتى يحكم الله بيننا فيما اختلفنا فيه، يا عقلاء السنة والشيعة لا تعطوا أعداء الإسلام ذريعة لهدم صرح الأمة، وإلغاء وجودها، وطمس رسالتها، وإهانة مقدّساتها، يا عقلاء السنة والشيعة حرموا فتاوى القتل وسفك الدم وإيقاد نار العداوة والفرقة والبغضاء، نحن المسلمين سنّة وشيعة ندعوا إلى التعايش السلمي والحوار مع غير المسلمين، أفنعجز عن أن نعيش سنّة وشيعة بسلام؟ إن

الـذي يعجز عن إصلاح بيته عاجز عن إصلاح بيوت الآخرين، لمصلحة من يرتفع صوت طائش أرعن ينادي: يا شيعي اقتل سنيّاً وادخل الجنة؟ ويقابله صوت ينادي: يـا سنّي اقتل شيعياً فداءً لك من النـار؟ أي منطق؟ أي عقل؟ أي دليل؟ أي حجة؟ أي برهـان؟ بل نقول: يـا سنّي دم الشيعي حرام، ويا شيعـي دم السنّي حرام، أما آن لنا أن نصحو ونراجع نداء الضمير وصوت العقل وخطاب الشرع؟ لا عدوان، لا ظلم، لا تحريض، لا إرضـاء للأعداء بتمزيق صفوفنا، وهدم بيوتنا بأيدينا، وقتل أنفسنا بخناجرنا.

أحسـن طريقـة لحل الخـلاف بين السنّـة والشيعـة أن يفعلوا فعـل الأعراب (البدو)؛ فإنهم إذا صدم أحد منهم بسيارته سيارة الآخر، قالوا: كل واحد يصلّح سيارتـه، عندها تنتهي المشكلة بلا مرور ولا غرامـة ولا سجن، فيا سنّة ويا شيعة: (كل واحد يصلّح سيّارته).

لقد أمرنا الله تعالى بحسن المعاملة مع غير المسلمين ما لم يقاتلونا أو يخرجونا مـن ديارنا، قال تعـالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ وهـذا مع غير المسلم، والبرُّ هنـا: كف الأذى، وحسن الخطاب، وجميل التواصـل، والتعايش السلمي، فكيف مع طوائـف الإسلام ولو كانت مختلفة متنازعة؟ ماذا يقول عنّا الآخرون إذا شاهدونا نكيـل السِّبـاب لبعضنا: لعناً وشتمـاً وتجريحاً وإهانـة وسخريـة؟ إن الإخوة أبناء الرجل الواحد إذا لم يصلحوا شأنهم، ويقفوا صفاً واحداً أمام الناس، فهم عرضة للعـداوة والفرقة والفشل والهزيمة، دعونا من الخطـب النارية البغيضة والكلمات الرعناء الجوفاء الحمقاء: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

شيوخ الفضائيات

لما نشرت المجلة الأمريكية (فوربيز) أرقاماً بدخل الدعاة منهم: صاحب المقال العبد الفقير، وسلمان العودة، وطارق السويدان، وعمرو خالد، وعمر عبدالكافي، قام كثير من الصحفيين وبعض القنوات الفضائية بتوظيف الخبر والتعليق عليه والفرح به، ولي مع هذا الخبر وقفات:

١- إن دخْلنا السنوي أنا وإخواني الدعاة والمذكور في المجلة الأمريكية لا يساوي مجتمِعاً رواتب الخدم والسفرجية والقهوجية عند كثير من الأثرياء والوجهاء، فلماذا الصياح والنواح والدعوة بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وقاصمة الظهور؟

٢- إن دخل الدعاة الخمسة لا يعادل دخل فنان واحد مشهور أو لاعب كرة عالمي، فهل المال حلال عليهم حرام على الدعاة؟

٣- هذه الأموال التي وصلت إلينا من كتبنا أو دروسنا هي نسبة قليلة مما تتقاضاه القنوات والمكتبات من حقوقنا، فلماذا نُلام ونحاسب على شيء زهيد أُخذ من مبالغ ضخمة حُوِّلت لصالح وسائل الإعلام وبرامج عليها رعايات ودعايات لغيرنا؟

٤- إن أخذ الأجرة على العمل ولو كان دينيّاً أو جمع المال من الوجه الشرعي حلال في الإسلام بالإجماع، حتى التجارة مع فريضة الحج جائزة، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، وكان أبو بكر الصدّيق وعثمان بن عفان وابن عوف وغيرهم تجّاراً وأغنياء كباراً.

٥- كيف نعيش وكيف ننفق على أهلنا إذا لم نأخذ نسبة ضئيلة من دخل أعمالنا، وليس عندنا وظائف ولا أرصدة بنكية ولا أسهم ولا شركات؟ هل نبقى عالة على المجتمع وننضم للضمان الاجتماعي، حتى نثبت لبعض إخواننا أننا زهّاد وعبّاد وأولياء وأتقياء؟

٦- أمــا كوننا مشايخ فضائيات فنحن مشايــخ فضائيات ولا فخر، وهذا الشرف حصلنــا عليه بعد توفيق الله بجهدنــا ومثابرتنا، ولأننا نقــدّم خطاباً معتدلاً صحيحــاً وسطيّاً راقياً جذّاباً، يحطم أنوف الغلاة والمتحللين من الدِّين، ومن عنده قدرة على الحضور والمشاركة فالطريق أمامه رحب فسيح:

أَقِلّـــوا عَلَيهِـــم لا أَبـا لأَبيكُمو

مِنَ اللومِ أَو سُدّوا المَكانَ الَّذي سَدّوا

٧- أما المتاجرة بالدِّين، فقصم الله ظهر من جعل الدِّين متاجرة، أو احتال على المسلمــين، أو خدعهــم في أموالهم، أو غشَّهــم، أو زوَّر عليهــم، أو ظلمهم، أو تسترَّ بالدِّين ليلعب عليهم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

٨- أيــن الأقلام الجريئة والألسنة الحادة التي تعرضت للدعاة ممن خدع الناس في أرزاقهم في الأسهم والشركات الوهمية واقتناص المال العام وأخذ الرشوة؟ ثــم لماذا لا تُنشر أرقــام بدخل الأعيان والفنانــين والرياضيين؟ وما معنى أن تقصد مجلة أمريكية إعلام الناس بدخل خمسة من الدعاة؟

٩- نحــن لا نأخــذ من جمهورنــا ولا محبينا ريــالاً واحداً، وإنما هــذا الدخل من جهات غنيّة وثريّة تجمع الأموال من الدعاة ومن غيرهم، بينما حضور المباراة وقاعــات الغناء والفن تُدخَــل ببطاقات مدفوعة الثمــن، والحمد لله أن دخْل الدعــاة الخمسة قد أُعلن في مجلة أمريكية، لــيردّ على من قال: إننا حصلنا على مئات الملايين من جهودنا الدعوية، وبإذن الله سوف يستمر حضورنا في المساجد والقنوات والصحف والمجلات، فأكرم البشر رسول الهداية ﷺ دعا إلى الله في المسجد والنادي والسوق والحضر والسفر، وخاطب الملوك وراسل أمم الأرض، وأسمع رسالته الخالدة كل العالم.

إنصاف الغرب لا يعني اتباعه

كتبت مقالتي (نحن العرب قساة جفاة) عن مشاهداتي في باريس، ولا أجدني ابتعدت عن الصواب؛ فقد ذكرتُ جانباً من جوانب حياتهم، وقد يجتمع في الشخص والدولة والشعب والأمة: حسنات وسيئات، ومناقب ومثالب، وأذكرُ هنا مسائل:

١- لا يجوز التعريض بالدعاة وطلبة العلم بأنهم لم يفهموا الواقع، ولم يطّلعوا على حضارة الغرب، ونحو هذه النغمة السائدة، وأنا قد سافرت إلى أوروبا وأمريكا مرات من قبل هذه الزيارة، ووالله ما سافرتُ من السعودية إلى فرنسا إلا وقد اطلعتُ على تاريخ فرنسا الحديث مع كثير من كتب مفكريها ومثقفيها، ولي إلمام بتاريخ الثورة الفرنسية وصولاً إلى شارل ديجول الثوري الرمز، مروراً بالرئيس بنبيدو السمين الضخم، تعريجاً على الرئيس المتألق (فلري جسكار دستان) تطويفاً على الرئيس الغامض النابه (ميتران) وصولاً إلى الرئيس المنظّر (شيراك)، وأخيراً الرئيس المستعجل المطفوق (ساركوزي)، فهل يُظَن أني كتبتُ المقال بناءً على مروري في شارع (الشانزيليزيه)؟ وهذا لم يحصل.

٢- إن منهج الوحي كتاباً وسُنّة يقوم على الإنصاف والعدل حتى مع غير المسلمين، وقد أنصف الله النصارى في كتابه فقال: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس**»، والروم هم أجداد الأمريكان والأوربيين، وعلّق عمرو ابن العاص على هذا الحديث بمدحهم، ثم قال: (هم أمنع الناس للظلم)، فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب، كما أنصفهم الله ورسوله والصحابة؟

٣- قبل أن أزور باريس بأيام نقلت (قناة العربية) و(قناة الجزيرة) مشهداً مؤثراً للرئيس الفرنسي (ساركوزي) وهو يصافح فلاّحين، فمد يده إلى أحدهم مصافحاً ومسلِّماً، فقبض الفلاح يده وصاح في وجه الرئيس: أنا لا أصافحك، أنت رئيس كذّاب!! فردّ عليه الرئيس بقوله: وأنت أحمق، فمال الرأي العام كلّه مع الفلاّح ضد الرئيس، وهاجمت الصحافة الرئيس، ونقصت شعبيّة (ساركوزي) بسبب هذه الحادثة، فبالله لو قام فلاّح عربي على رئيس عربي من الأنظمة الثوريّة القمعية الاستبدادية، وقال له مثلما قال للرئيس الفرنسي فماذا ستكون النتيجة؟ طبعاً سوف ينادي الزّبانية والجلاّدين بقوله: (خذوه فغلّوه، ثم الجحيم صلّوه)، فلماذا لا ننصفهم كما أنصفهم عمرو بن العاص في هذه المسألة؟

٤- حاضرتُ أنا والدكتور سعد البريك والدكتور عبدالعزيز المقحم والدكتور عبدالله الحارثي في مساجد باريس و(ليون) و(بروكسل) و(مدريد) وغيرها من المدن، وحضر من الجالية العربية التي فرَّ أكثر أفرادها من السجون والمعتقلات العربية من أنظمة قمعيّة ثوريّة استبدادية انقلابيّة، ترفض تحكيم الشريعة الإسلامية، فتعلّموا في أوربا الطب والهندسة والطيران والتكنولوجيا، ومارسوا الدعوة في المراكز الإسلامية والمساجد ووسائل الإعلام، فهل تسمح لهم كثير من الأنظمة العربية بذلك؟ فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب؟

٥- أنكِرُ أن الحضارة -ولو كانت ماديّة- ترقق الطباع، وهذا أمر معلوم متعارف عليه شرعاً وعقلاً، وفي حديث حسن يقول ﷺ: «من بدا جفا»، والمعنى: من سكن البادية وابتعد عن الحضارة صار في خُلُقه جفاء وفي طباعه قسوة، ولما سافرتُ إلى أمريكا مع الدكتور عبدالقادر طاش، وشاهدنا اصطفاف الناس بانتظام مع حسن الترتيب والنظام في الأخذ والعطاء، التفت إليَّ وقال: (الحضارة ترقق الطباع)، فلماذا لا نلمح هذا الجانب؟ ولماذا لا نتذكر

قسـوة كثير منّا، وأدلة هذه القسوة موجـودة؟ فمنها آثار الكدمات واللطمات في جباه بعضنا من آثار التضارب والتقاتل فيما بيننا، ومنها كثرة الصدمات في السيـارات نتيجة للعنف الاجتماعي، وهـل ننكر أن الكثير منّا يحمل عصاً وهراوة في سيارته لوقت الطلب والمنازلة؟

٦- أنـا لا أنكـر أن فرنسا احتلـت الجزائر، ولا أنهـا أيّدت إسرائيـل، ولكنني لا أنكـر ما وصلوا إليه من رقي مـادي وتفنن في أساليب الحياة، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾، أليـس في حياتهم الدنيـا التداول السلمي للسلطة بلا قتـل ولا انقلاب ولا غدر ولا خيانة؟ أليس في حياتهم الدنيا الطب الراقي، والصناعة الناجحة، والتنظيم والترتيب، مع جودة البناء، وسرعة القطارات، وإتقان الطائرات، ونحوها من الأمثلة؟

النفاق الاجتماعي

أصبح لكل رمز ديني أو سياسي أو وطني بطانةٌ، يمارسون معه لعبة التضليل والتَّملّق والتّزلّف والمديح المزيف، فشيخ العلم لديه أتباع من المحبِّين والمعجبين، يخلعون عليه صفات الكمال، ويوهمونه بأنه بركة العصر، ووحيد الدهر وشبيه البحر، وأن الله نفع بعلمه العباد والبلاد، وأن كتبه وفتاويه ودروسه شرّقت وغرّبت، فيصدّق المسكين، ويقع في الفخ، ويصاب بداء العجب والتيه، والسياسي عنده بطانة تقتات بكلمات الإطراء، ومقامات الثناء الممجوج، وتوهمه بأنه الملهم، وقلب الأمة النابض، ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلاماً منامية كاذبة تدل على صلاحه وعدله، وإيمانه واستقامته، وتخبره هذه البطانة أن العجائز في البيوت يدعون له، وأن الشيوخ والأطفال يعيشون على حبّه، وأن عدله وصل الجميع، وبرّه وَجُوده عمّ الكل، (فيتوهّق) و(يتورّط) في دهاليز العلو في الأرض، والتّكبر على عباد الله، والتّجبر على الأمة.

والأعيان من العسكريين والتجار والمشاهير لهم جُلاّس وسُمّار، يمارسون معهم لعبة الضحك على الذقون، وتمويه الحقائق، ويعطونهم صورة خاطئة عن الواقع، ليكسبوا الحظوة لديهم، وينالوا شرف صحبتهم، ويبتزوا أموالهم، فإذا غابوا عنهم سلقوهم بألسنة حِداد شِداد، فإذا أتيتَ تريد المكاشفة والصدق والوضوح والشفافية ضاع صوتك بين الأصوات، وصرت ثقيلاً، وأصبحت نشازاً، فتضطر رغم أنفك للمشاركة في حفل تأبين الضمير وفي جنازة موت الحقيقة، وهذا يدلّك على الغثائية التي وصلت إليها الأمة.

أما كان الأعرابي يحاور عمر، ويناقشه وهو على المنبر؟ أما طلب عمر من الناس تيسير المهر وعدم المغالاة في الصداق، فقامت امرأة من آخر المسجد، فقالت لعمر: يا عمر كيف تريد تقليل المهر، والله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾؟ فصاح عمر: أصابت امرأة، وأخطأ عمر.

نحن لا نطلب من الناس سوء الأدب مع الرموز الدينية والسياسية والوطنية وسائر الناس، ولا التجريح ولا التشهير، ولكن نطالب الجميع بالكف عن هذا النفاق الاجتماعي، وحجب الحقائق، وإدخال هذه الرموز في نفق مظلم من الوهم.

يقول الحسن البصري: «تولّى الحجاج العراق وهو عاقل كيّس، فما زال الناس يمدحونه حتى صار أحمق طائشاً سفيهاً»، فلما ضعف الوازع الديني عند الأمة وقلَّ الصدق أكثرتْ من ألقاب المديح وصفات التّزلّف بعدما كان الصحابة في عصر الخيريّة والقيادة والريادة ينادي بعضهم بعضًا، فيقولون: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وهم قد فتحوا القلوب والأسماع والأبصار والبلدان بالإيمان والعدل والسلام، ولكن الرئيس العربي ركَّبَ على صدره النياشين وعلى أكتافه النجوم، وفي الشوارع أقواس النصر وهو لم ينتصر في معركة واحدة، بل إن أجزاء من بلاده تحتلها إسرائيل.

إن تمويه الحقائق على الرموز وصنّاع القرار والمؤثّرين معناه ضياع البلاد والعباد، فهؤلاء المتملّقون والمتزلّفون من البطانة همهم أنفسهم، وهم الذين يحملون شعار (كل شيء على ما يرام)، فتجد الشيخ مثلاً عنده أخطاء كبرى ومغالطات عظمى، لكن بطانته يصوّبون قوله وفعله، حتى يوصلوه إلى درجة العصمة، فيبقى على خطئه، ويستمر على أوهامه، والسياسي تُحجب عنه حقائق الوطن والناس، تحت مظلّة: (الناس مرتاحون، ويدعون لكم، وهم في أرغد عيش، وأحسن حال)، فيُعطَّل اهتمام الوالي بأحوال الناس وحاجاتهم، وتنحدر البلاد في التّخلّف والفقر؛ لأن هذه العصبة قد ضمنت مصالحها، واطمأنت لمستقبلها، فلا يعنيها حال أحد من البشر.

فينبغي أن تُخلع الأقنعة السوداء عن وجوه هذه البطانة، التي تحفّ بالوالي والعالم والوجيه والرمز؛ ليرى الأمور كما هي، وتتضح له الأشياء على حقيقتها، ويتخذ القرار المناسب، والقول المناسب، والرأي المناسب في الوقت المناسب،

وبإمكانك أن تسأل كل بطانة متنفّذة نفعية عن الرمز الذي تحفّ به، فسوف تسمع مــن التقديس والغلو والإطراء ما تنفر منه الأسمــاع، وتشمئز منه الطباع، ويورث الرأس الصداع.

obeikandl.com

الرجل الأسود في البيت الأبيض

إن في فوز (باراك أوباما) لعبرة لقوم يعقلون، ألا تعجب من رجل فقير بسيط مسكين سافر به أهله من بيت صغير في كينيا بأفريقيا، يبحثون عن لقمة العيش، فارين من الجوع والمرض والجهل؟ فيتعلّم ابنهم ويتزوج وينال منصباً، ويُعطى جنسية أمريكية، ويدخل الانتخابات ويفوز برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، بل بقيادة العالم، فهو المدير الإقليمي للدول جميعاً، وهو أقوى رجل في عالم الدنيا في القارات الست، أما وقفت مع نفسك متأملاً في هذا المشهد العجيب الغريب؟

كيف يقفز رجل غريب فقير مهاجر مسكين من كوخ في كينيا إلى أن يتربّع على كرسي الرئاسة في البيت الأبيض، وقل لي بربك: لو أن الأستاذ باراك أوباما التجأ إلى إحدى الدول العربية كيف يكون وضعه؟ إنه سوف يكون في الغالب في الترحيل لانتهاء مدة إقامته، أو سوف يُطرد من البلاد لمخالفة قانونية، وإذا كُرّم سُمح له بأن يكون سائق تاكسي (ليموزين) أو حارس عمارة أو بائعاً في سوق الخضراوات أو الحراج، هذا ما سوف يحصل للأستاذ باراك أوباما لو كان في إحدى الدول العربية القوية الصامدة المتألقة النامية والنائمة في سبات عميق ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾.

سبحان الله! مرةً واحدة وبسرعة هائلة يصل العامل البسيط والشاب الفقير والمهاجر المسكين إلى رئاسة أكبر وأقوى دولة في العالم، ليجلس أمامه رؤساء العالم وهم ينتفضون من حمّى الرهبة، ويرتعدون من هول الموقف؛ لأنهم في مجلس رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

سبحان الله! ينسى الأمريكان لونه الأسود وأصله الأفريقي وآباءه المسلمين، ويقولون لهذا الشاب الذي ما سكن قصراً، وليس في آبائه وزير ولا قائد ولا رئيس ولا ملك، وإنما فقير ابن فقير ومسكين ابن مسكين، يقولون له: تفضّل قُدِ البلاد،

واحكم الدولة والأمة، وبيده مفاتيح القوة النووية، والاقتصاد العالمي، والقرار الأول والأخير في عالم الدنيا الفانية، دُفعةً واحدة، يقفز هذا الشاب الأسمر الداكن الصعلوك من كوخ صغير، فيه قطعة من حصير، وأكواب من فخار، وكيس من دقيق الشعير، إلى أن يجلس أمام الكونجرس الأمريكي، يأمر وينهى، ويصدر المراسيم الرئاسية، ويسقط حكومات ويعيّن رؤساء ويتحكم في الفضاء والثروة والطاقة، وإذا غضب على دولة فلها الويل مما يصفون، ويا حسرة على رئيس لا يرضى عنه، وأحسن الله عزاء بلدٍ قرر محاربته.

فهل تفكرنا في هذا المنطق، وهذا المستوى الراقي الذي وصل به باراك أوباما إلى رئاسة (أمريكا)؟ أما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (والله لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لولّيته الخلافة بعدي)، وسالم هذا مولى أسود فقير مسكين، لكنه مؤمن مهاجر، حافظ لكتاب الله، قائم بحدوده، ولما ولّى أمير مكة عليها بعده ابن أبزى، وهو مولى أسود فقير مسكين، أقرّه عمر، وقال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»، الآن أصبحت أمريكا تطبق دون أن تشعر بعض تعاليم الإسلام: من احترام الإنسان وتقدير مواهبه، وإعطائه الحق في المشاركة، وإبداء الرأي، وأخذ مكانه المناسب مهما عظم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ وقال ﷺ: «**الناس سواسية كأسنان المشط**» وقال عمر: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

إن إخوان وزملاء باراك أوباما يعملون قهوجية وسفرجية وطباخين وكناسين في البلاد العربية، ولو طلب أحدهم أن يكون مدير مدرسة ابتدائية لناله الويل والثبور، وعظائم الأمور، وقاصمة الظهور، وإن في فوز باراك أوباما برئاسة أمريكا لآية لأولي الألباب.

(يوم عرفة) أعظم ديمقراطية

نبهني الأمير سلمان بن عبدالعزيز لما كتبت مقالي (الرجل الأسود في البيت الأبيض) بهذه الصحيفة إلى أن الإسلام سبق الأمريكان في إعطاء الإنسان حقه، أيّاً كان أصله أو لونه، وذكر أمثلة من التاريخ السعودي المعاصر، والأمير سلمان مرجعية في هذا الباب، وذكر أن بعض رجال الملك عبدالعزيز ممن حكموا بعض أقاليم السعودية كانوا من القبائل ومن غيرها، فلم يميز أبيض عن أسود.

وعلى ذكر عدل الإسلام وإكرامه للإنسان بتقواه وإيمانه لا بأصله ولونه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فقد قرب يوم عرفة، واجتماع الناس في ذاك الصعيد بلباس واحد في مكان واحد، لعبادة رب واحد، واتباع رسول واحد، لا يميزهم لون ولا عرق ولا جنس ولا لغة ولا دم، بل يحرمون في إزار ورداء أبيضين، الملك والأمير والعالم والغني والفقير والأبيض والأحمر والأسود والعربي والعجمي، فأي وحدة كهذه الوحدة؟ وأي مساواة كهذه المساواة؟

لقد وقف الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرناً في صعيد عرفة، وأمامه أبو بكر القرشي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي وهو يقول للعالم: «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى»، فديننا سبق كل الدساتير والقوانين الأرضية الوضعية بإعطاء الإنسان قيمته وإكرامه والاعتراف بحقوقه، وقد أخذ كثير من المصلحين والمجددين والعلماء والحكام مكانتهم، بغضّ النظر عن أصلهم وفصلهم وحسبهم ونسبهم ولون بشرتهم وفصيلة دمائهم كبلال وعمار وصهيب وسلمان وأبي حنيفة وسيبويه والبخاري وعطاء بن أبي رباح ومجاهد، والآلاف المؤلفة من النابغين والمتفوقين، بل إن قيادة العالم الإسلامي توزعت ما بين عمر العربي، وصلاح الدين الكردي ونور الدين التركماني، ومحمد الفاتح التركي، وقطز المملوكي وسواهم، ومن كان في شك من ذلك فليشاهد الحجيج، وقد لبسوا البياض شعثاً غبراً، متجردين

مـن اللباس والزينة والطيب، اتحد زيهم ومكانهم وزمانهم ودعاؤهم وصلاتهم وحضورهم وانصرافهم، فلا تميز غنياً من فقير، ولا رئيساً من مرؤوس، الملك والخادم في زيّ واحد وصفّ واحد ومكان واحد، وهذا العدل والمساواة لم تأتِ بصناديق اقتراع، ولا بانتخابات مزوّرة، ولا لوبي يتحكم بالمال في ضمائر الناس، ولا رشوة ولا دعايات وإعلانات، وإنما جاءت من عند الله بصدق وحق ووضوح وصراحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، فنحن المسلمين جمعية كبرى، أعضاؤها كل خيّر مؤمن صالح، وأفرادها كل محب للحق والعدل والسلام والفضيلة، وهذه الجمعية فيها الممتاز والجيد والمقبول: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾.

أما كان بلال بن رباح يصعد بسواده على سواد الكعبة، ليعلن كلمة الحق في أذانه (أشهد أن لا إله إلا الله)؟ أما ورد في الأثر (سلمان منّا آل البيت) أي: سلمان الفارسي؟ وقد عين سلمان أميراً للمدائن من قِبَل عمر، وقال عمر: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا بلالاً، فجعل بلالاً سيداً من سادات المسلمين، إن تاريخنا الإسلامي المجيد في القرون المفضلة أدهش المؤرخين وأذهل المطلعين، وما من فضيلة عند الأمم المعاصرة إلا وقد سبقهم الإسلام لها، ولكن المشكلة أن غير المسلمين ينظرون إلى واقع المسلمين الآن، فيجدون صوراً من الاستبداد والظلم والقهر والجهل والفقر والتطرف، فينسبونها إلى الإسلام، والإسلام منها بريء.

ولئن كان باراك أوباما فاز بثقة الأمريكان وهو من كينيا، فقد فاز قبله بلال وهو من الحبشة بثقة سيد الخلق ﷺ وثقة المسلمين، وفاز سلمان الفارسي بثقة الأمة وصار أميراً لها، وصدق الأمير سلمان، نحن سبقنا الأمريكان؛ لأن عندنا الإيمان والقرآن وسيد ولد عدنان، وإكرام الإنسان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وداعاً بوش

الفراق صعب، ودموع الأحباب تخونهم عند فراق الحبيب، فقد تابعت كيف ودع العالم الرئيس اللامع، طيب الذكر والسيرة والسريرة الرئيس المجدد الموفق (جورج بوش)، فتذكرت قول ابن زيدون:

ودّع الصبرُ محبًّا ودعك
ذائعاً من سره ما استودعك

سوف يترك الرئاسة والبيت الأبيض ويذهب، وقد ترك العالم في حيرة بعد إنجازات لم يسبقه إليها أحد، فقد دمر الاقتصاد الأمريكي، وقطع جسور العلاقات الدولية، وداس سمعة الولايات المتحدة الأمريكية، ودمر العراق، وخرب أفغانستان، وأعان في حصار غزة، وصدّر الديمقراطية على دبابة، وأرسل العدالة على صاروخ، ووزع الغذاء على قنابل، وأفسد الماء، وحجب الهواء، وأسال الدماء، ومنع الغذاء، وعطل الدواء، وسجن الأبرياء، ورمل النساء، ويتّم الأطفال الضعفاء، وعذّب الشرفاء، وخذل الأوفياء، وخالف النصحاء، وأطاع الأغبياء، وتنبأ بأن الجيش الأمريكي سوف يُستقبل بالباقات والبسمات، فإذا هو يُستقبل بالجزمات، وغضب الأحياء والأموات، وصرخات الأمهات، وأصيب جنوده بمرض الوسواس القهري وانفصام الشخصية والهذيان والغثيان والإسهال ومرض الأنيميا والأيدز، مع التشوهات الجسمية من قطع الأيادي وبتر الأقدام وجدع الأنوف وكسر الجماجم وتهشيم العظام.

والآن يرحل الرئيس بوش ونسأل الله له طول العمر، ليرى بنفسه ثمار إنجازاته، ونتائج فتوحاته، ويتذوق حلاوة أعماله ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ ﴾، وعزاء بوش السمعة الحسنة، والذكر الجميل، والحب الذي زرعه في القلوب، وأقترح أن يُبنَى له نصب

تـذكار في كل مـن جوانتنامو وأبو غريـب وتورا بورا ومعابر غـزة، وأرفع له الشكر باسـم القوميّة العربية من المحيط إلى الخليج، (أمـة واحدة ذات رسالة خالدة)، لكنهـا راكدة جامدة خامدة هامدة جاحـدة، وأشكره باسم دول الصمود والتحدي والتردي (والمهليّ ما يوليّ)، وأشكره باسم قتلى الرافدين وشيوخ أفغانستان وعجائز فلسطين وأطفال غزة، وأشكره باسم علماء البيئة على أن أراحهم من العمل بتدمير البيئة، وباسم علماء الاقتصـاد لأنهم أصبحوا في عطلة، وباسم صناعة السيارات لأنها تقلصت، وباسم البنوك التي (نيّلها بنيلة)، وطيّنها بطينة.

كمـا نرفع له أسمى آيات الاعـتراف بالجميل، لأنه أضعف (أمريكا) القطب الواحد لتكون القطب الرابع، وساعدنا في تشتيت الجيش الأمريكي، وتبديد الثروة، وتضييـع الطاقة، وغرس الهزيمـة النفسية في قلوب شعبه، كما نرفع له باقات من الورد بقدر القنابل العنقودية التي ألقاها على الفلوجة والبصرة وقندهار، ونبعث له باقات الورد بقدر الغازات السامة، التي نثرها في الخليج وكابول، باسم كل طفل معـاق وطفلة مشوهة وشاب مقعد وشيخ مخرف وعجوز كسيرة حسيرة، كان بوش السبب في شقائهم وتعاستهم، وباسم كل يتيم ومشرد ومضطهد ومسجون، ونتمنى له أياماً سعيدة، يتلذذ فيها بالنظر إلى الأجساد الممزقة والوجوه المحرقة والأنوف المقطعـة والعيون المفقـوءة والآذان المشرومة والصـدور المحطمة، كما نشكره على براعتـه في الخطابة، وسرعتـه في الإجابة، مع الوسامة وارتفـاع القامة وضخامة الهامة، مـع (الكريزما) الجذابة الخلابة، والهمة الوثابة، التي لا تجتمع لأحد إلا بخـذلان من الله، والآن نودع بوش وعزاؤنا في فراقك دعاء منا لك بظاهر الغيب، وذكـرى جميلة لن ننساها لـك، وتاريخ مشرق يبقى لك أبد الدهر، والآن مُتْ متى شئت، فالموتُ أستر، والقبر أجدر.

التجسس بين الزوجين

الغيرة مطلوبة في حدود الشرع، فإذا تجاوزت صارت مرضاً ووهماً ووسوسة، وبعض الأزواج تحول مع زوجته إلى جاسوس ورجل استخبارات من الدرجة الأولى، فلمرضه النفسي صار يشك في كل حركة ولفظة وتصرف من زوجته، فهو يفتش في غيابها أدراج غرفتها وملابسها، لعله يعثر عليها متلبسة بورقة أو رسالة أو هدية، ليحاسبها حساباً شديداً، وإذا وصلت إلى جوالها رسالة (مسج) قام وطالبها بقراءة الرسالة، وإذا اتصل بها ووجد جوالها مشغولاً شك فيها وحلّفها الأيمان المغلظة، وإذا خرجت من البيت أخذ يتجسس عليها في طريقها وذهابها وإيابها، فحوّل حياتها إلى نكد وعناء وعذاب شديد، وأسقاها السم الزعاف، وأذاقها المر، وجرّعها غصص الحياة، وأعرف شباباً تزوجوا ثم لعب عليهم الشيطان، فتحولوا إلى جواسيس على زوجاتهم، وصارت وظيفتهم استخباراتية لوجستيّة بامتياز، فأحدهم يفكر في طلاق زوجته، لأنه وجد في جوالها رسالة مشبوهة من مجهول، وآخر يخطط لفراقها لأنه رأى في المنام أن رجلاً جالساً مع زوجته، وثالث يتوعدها بالويل والثبور وقاصمة الظهور، إذا أشغلت جوالها.

فإذا تحوّل هذا الزوج إلى جاسوس عميل، فهذا مريض مرضاً نفسياً مزمناً، يجب معالجته والذهاب به إلى المصحات النفسية، ومثل هذا لا يطاق العيش معه، ولا يصبر على أذاه ونكده، وهو في زعمه غيور وأسد هصور، وهو في الحقيقة بطة عرجاء، ونعامة فتخاء، إنما شجاعته على امرأته المسكينة الضعيفة الغافلة البريئة، ولم يسأل هذا الجاسوس نفسه عن أخباره هو وأسراره ومغامراته وغرامياته وسوابقه وعلاقاته، فهو يجوز له أن يفعل ما يشاء وأن يتصل وأن يراسل من شاء، ومن حقه التكتم على أسراره وإخفاء أموره وسجله ووجهه الآخر، ولكن لا يحق لزوجته أن تخفي شيئاً عنه، ولا تكتم أمراً، وعليها أن تطلعه على كل رسالة وكل مكالمة وكل هدية وكل اتصال، ومن تحدث معها من جاراتها وعماتها وخالاتها

وصديقاتها، والإسلام لا يرضى بهذا التصرف المشين، وهذا المسلك الدنيء، ففي الحديث الصحيح عند أبي داود: «إنك إذا ذهبت تلتمس عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم»، هذا هو تدمير البيوت، وخراب الأسر، وقطع أواصر الزوجية، وإفساد القلوب، لأن هذه النفوس المريضة البائسة تنظر بعين طبعها، كما قال أبو الطيب:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونُه

وصدّق ما يعتاده من توهمِ

ويقول الشاعر:

ما يستشك يا حسين كود الرديّين

والا ترى الطيّب وسيع بطانه

مسكينة امرأة ابتليت بزوج مريض نفسياً، معاقٍ عقليّاً، مليء بالشك والريبة والوسوسة والوهم، وأحسن الله عزاءها في حياتها الزوجية، وفي راحتها وأمنها واستقرارها، إن هذا الزوج الجاسوس على زوجته همّه فقط تصيّد العثرات، والفرح بالزلات، وجمع الأخطاء، وهذا فعل رخيص، وعمل حقير، وتصرف مهين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، حتى صارت هذه الزوجة المسكينة تكتم عنه أخبارها وشجونها وأسرارها وشكواها، كما قال الشاعر:

كم واحدٍ له غايةٍ ما هرجها

يكنّها لو هو للأدنين محتاجْ

وبالمقابل، فإنه يوجد أيضاً -والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه- بعض الزوجات الجاسوسات، اللواتي تحوّلنّ إلى عيون راصدة على الزوج، فهو في عذاب من هذه المرأة الجاسوسة المريضة الموسوسة، فهي تشك في ملابسه وقلمه وجواله وخاتمه والطيب الذي في غترته، وتفتش حقيبته ومحفظته، وتبحث في

ملابسه، لعلها تعثر على ورقة إدانة، وشاهد على جرمه، وبينة على مكره وكيده، لتقبض عليه متلبساً بفعله لتحاسبه حساباً شديداً بلسان سليط، كأنه غرس في غاز خردل، وبوجه كالح قبيح كأنه جهنم، أفق أيها الزوج؛ آسف العميل والمخبر السري من دور عملاء الـ (K.G.B) وعملاء الـ (C.I.A)، وأفيقي أيتها الزوجة؛ آسف الجاسوسة الونّانة الرنّانة الحنّانة المنّانة. إن حياة التلصص والتربّص عذاب ونكد دائم.

فيا أيها الأزواج والزوجات أفيقوا، فإن الغيرة الشرعية شيء وما تمارسونه من تجسس وإدانات وكيد شيء آخر، إن عملكم هذا من تلبيس إبليس، ومن مقررات مدرسة الشيطان ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾.

يا أتباع الأديان تعالوا إلى كلمة سواء

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، إن دعوتنا للحوار مع أتباع الأديان دعوة ربانية عالمية، فديننا من أول وهلة عالمي، قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، دعوتنا واضحة صريحة سهلة بسيطة، ملخصها: أننا نشهد أن لا إله إلا الله، ونؤمن برسل الله، فنشهد أن موسى رسول من عند الله، وأن عيسى رسول من عند الله، وأن محمداً رسول من عند الله ﷺ، ونشهد أن الدين عند الله الإسلام، وقد أمرنا بحسن التواصل، وجميل الحوار، ومد جسور التفاهم والتعايش السلمي مع الأمم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وأمرنا أن نكون رحماء بالناس، حكماء مع بني الإنسان، حلماء بالعالمين، أهل رفق ولين وصبر على الأذى، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

وعندنا والحمد الله القدرة التامة والاستعداد الكامل لحوار أي فئة أو طائفة أو مذهب أو توجه، لأننا مؤمنون برسالتنا، معتزون بمبادئنا، واثقون من مسيرتنا، مطمئنون لسلامة منهجنا، ليس عندنا في دعوتنا أسرار خفية، ولا ألغاز ولا طلاسم ولا أحاجي، فليس في الإسلام مذهب بطائني ولا نهج فلسفي، وليس عندنا غموض الزنادقة وشبه الدجالين الأفاكين، ولكن عندنا الوضوح والصراحة مع النفس ومع الناس، رسالتنا سهلة ميسرة صريحة، يفهمها الأعرابي والعامي والطفل والعربي والعجمي والأبيض والأسود، تلخص في جملة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعندنا أجندة لهذه الرسالة منها العدل مع الأمم ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾، العدل مع من عادانا وخاصمنا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ

عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾، ولا نعتدي إلا على من اعتدى علينا ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾، ومن أجندتنا الدعوة إلى السلام وحسن التعايش مع البشر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾.

وأمرنا بجميل الخطاب مع الناس أجمعين، ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾، نحن دعاة توحيد وعدل وسلام وعلم ومعرفة، رسالتنا تحرم الشرك، واتباع الشيطان، وتصديق الدجاجلة، والإيمان بالخرافة، وإلغاء العقل، وتدعونا رسالتنا إلى الإيمان بالله وحده، وتصديق رسله، وتحكيم شرعه، والسعي لعمارة الأرض وإسعاد البشرية، ودرأ الفتنة، وحقن الدماء، وحفظ الأنفس المعصومة، وصيانة الأموال، ونشر الخير والفضيلة والأمن، وقطع دابر الشر والفساد والخراب والتدمير، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾، وقال عن الأشرار الظلمة المفسدين: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾.

الحوار مع أتباع الأديان من مقاصد شريعتنا ومن تعاليم ديننا، يحاورهم لأن عندنا دليلاً، ولدينا برهانًا، ومعنا حجة، وفي أيدينا وثيقة ربانية، وفي قلوبنا نورًا إلهيًّا، وفي ضمائرنا وازع الإيمان وصوت الحق ونغمة الصدق، يحاور الجميع على أن لا نتنازل عن شيء من ديننا، ولا نترك جزءاً من رسالتنا، لأنها من عند الله وليست من عندنا، ونحن لا نملك التحريف ولا التبديل ولا التأويل في هذه الرسالة المقدسة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾.

فليس عندنا زيادة على النص، ولا اعتراض على الوحي، ولا تبديل للشريعة، كلامنا في السر مثل العلن، وخطابنا في المسجد كخطابنا في النادي والجامعة

والمؤتمر، ليس عندنا رغبة في قهر الناس، ولا في السيطرة على عقولهم، ولا في إرهاب أفكارهم، ولا في اغتصاب بلدانهم، ولا في الاستيلاء على ثرواتهم، ولا في إكراههم على عقيدتنا ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾، ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ﴾، ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾، فيا أتباع موسى آمنوا بمحمداً فقد آمنا موسى، ويا أتباع عيسى آمنوا بمحمدٍ فقد آمنا بعيسى، لا نفرق بين أحد من رسل الله عليهم السلام.

السوط يذل الطالب

لما درسنا الابتدائية سُلّط علينا أساتذة جلّادون، فضربونا بالعصي ضرب غرائب الإبل، وكان بعض الآباء يشجعونهم على هذا الصنيع، ويقول أحدهم للأستاذ: لك اللحم ولنا العظم، بل تبرع بعض الآباء بإحضار العصي للأستاذ من الخيزران والشوحط والتين والسدر، فإذا غلط الواحد منا غلطة صغيرة قام الأستاذ الجلاد فجلده، ونكّل به، وشهّر به، وكسر رجولته أمام زملائه، وأذكر مرة ونحن في الابتدائية: أن طالباً غلط غلطاً ما فأخرجنا مدير المدرسة جميعاً وجلد الطالب أمامنا، وشهّر به، ففر الطالب من المدرسة إلى الآن، ومنذ أربعين سنة وهو فار، فخسر مستقبله بسبب هذا الموقف الحقير البائس، فإذا دخل الأستاذ الجلاد حيّنا هربنا منه، واختفينا وراء الجدران والحيطان، وإذا حضر مناسبة غبنا عنها، وإذا رأيناه يمشي في الطرقات فررنا من طريقه: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾.

وكان الأستاذ الجلاد أثقل علينا من الحمّى، لا نفهم درسه، ولا نحب شخصه، ونتمنى موته، ونفرح إذا انتهت حصته، أما الأستاذ المربي اللبيب القريب اللين الرفيق - وهذا نادر فيهم - فكنا نعشق مادته، ونحيي قدومه، ونرحب بطلعته، ونفهم كلامه، ونحترم مقامه، فيا أيها الأساتذة والمربون: إن السوط لا يصنع رجالاً ولا أبطالاً، ولا يخرج أجيالاً، وإنما ينتج قطيعاً هائماً من البلداء والحمقى والمغفلين، الذين أُهينت كرامتهم في طفولتهم، وكُسرت رجولتهم في شبيبتهم، وقد اعترض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الجلادين، وأُتِيَ بجلاد من الأمراء فبطحه أمام الناس وجلده، إذ إن محمد بن عمرو بن العاص ابن أمير مصر جلد قبطياً سبقه بفرسه، فشكا القبطيُّ الأميرَ إلى عمر، فأحضر عمرُ محمدَ ابن عمرو وجلده، وقال له: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟)

أيها المعلمون، ارفعوا السوط، وألغوا (الفلكة)، وأساليب التعذيب، وطريقة محاكم التفتيش، فهي سراديب مظلمة، تدل على مرض النفس وعدوانية الروح، وطغيان الإنسان المفترس، واسلكوا سبيل محمد بن عبدالله رسول الهدى، الذي دعا بالحكمة، وعلّم باللين، ونصح بالرفق، فقال له ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وحفّت به القبائل، وشيعته الأرواح، واتبعته الأجيال، ورضي بدعوته الملايين، أما أهل العنف والقسوة فهم نكرات في صفحات التاريخ، ونقط سوداء في لوحة المجد البيضاء، وسوف يلفظهم الناس، وتشطبهم الذاكرة، وتمقتهم القلوب، يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾.

ترفقوا بأطفالنا، ارحموا أكبادنا، احرصوا على قلوبنا، إياكم وإذلال جيل المستقبل، وتحطيم رجال الغد، وتمريغ كرامة حفّاظ المبادئ، وإهانة أحفاد الفاتحين، واتركوا الأساليب المهينة المنبوذة العدوانية للجلاوزة والطغاة: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

إن الرقابة على الأستاذ الجلاد والمعلم الجبار مطلب شرعي وحق إنساني، وإن من الجميل أن أدرك القائمون على التعليم أن جلد الطالب مذهب سقيم، وأن ضربه مسلك عقيم، فبدؤوا يمنعون الجلادين من استصحاب الهراوات والعصي والسياط في المدارس، وإن الأستاذ المحبوب المهاب لا يحتاج إلى كرباج بيده، فوقفته إجلال، ونبرته احترام، وكلمته تأديب، وخُلُقه مثلٌ عليا، كما قال البوصيري في سيد الخلق ﷺ:

كَأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلالَتِهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

غثاء كغثاء السيل

يقول ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**»، والرسول ﷺ إنما يكاثر بنا الأمم إذا كنا مؤمنين صادقين أقوياء متعلمين، أما إذا كنا جهلة متخلفين كسالى محبطين، فنحن لا نستحق أن يكاثر بنا الأمم، لأننا كالأصفار التي لا قيمة لها، ماذا نفع المسلمين الآن عددهم، الذي يقارب مليار مسلم ونصف؟ أين مكانهم في العالم؟ أين صوتهم؟ أين صناعاتهم؟ أين إبداعهم؟ أين اختراعاتهم؟ وأين اكتشافاتهم؟ شيء قليل لا يكاد يذكر، لقد تحقق فينا قول الرسول ﷺ: «**ولكنكم غثاء كغثاء السيل**»، وعجبي لا ينتهي ممن هو مستمر في الإنجاب والتوالد والتناسل والتناسخ والتبييض، والتفريخ، ثم إذا ملأ بيته بالأطفال تركهم بلا تعليم ولا توجيه، ولا تربية، ولا رعاية، فخرجوا فارغين عاطلين عن العمل بلا علم، ولا أدب ولا وظيفة، فمنهم من أصابه مرض نفسي ووسواس قهري، ومنهم من وقع في المخدرات والمنكرات، ومنهم من نظم نفسه في عصابات قطّاع الطرق والمحاربين والقتلة، فهل هذا من تكثير الأمة ومن تطبيق أمره ﷺ.

لقد حدثني أستاذ عن حارس في مدرسته راتبه ألف وخمس مائة ريال، ومتزوج بثلاث زوجات، وعنده سبعة عشر من الأبناء، وكلما ولد له مولود بشر المدير والأساتذة ورقص رقصة الفرح، وهو يدور بصك الإعسار وخطاب الشحاذة، يشحذ عباد الله، ويتسول لزوجاته وأطفاله، هل هذا الصعلوك المفلس قوة للإسلام؟ وهل يمكن أن ينجب علماء وأطباء وحكماء ومهندسين وأساتذة، وهو جاهل أمي ضعيف عقل، وقليل رشد؟ وقس على هذا الآلاف المؤلفة ممن همهم الإنجاب، حتى وقعنا في كثرة الإنتاج مع سوء التوزيع، وكثافة الكم مع ضعف الكيف، آمل من المسلمين أن يفهموا دينهم فهماً صحيحاً، وألا يسيئوا استخدام النصوص، وألا يحمّلوا الإسلام ما لا يحتمل، وألا يكونوا عالة على أمتهم ومجتمعهم، وليجتهدوا في بناء ذواتهم بناءً صحيحاً على الإيمان والمعرفة والرشد، والهمة العالية والعمل النافع المفيد،

ومن عنده طفلان فرباهما تربية صحيحة واعتنى بهما وعلمهما أفضل ممن عنده أربعون من الجهلة الكسالى قليلي الأدب، الذين يذرعون شوارعنا صباح مساء، بلا علم ولا عمل، وإنما يحملون أجساماً سمينة مترهلة كأجسام البغال، عليها رؤوس ما فيها إلا الغباء، وقد أضروا بالبيئة، وأكسدوا الهواء، وأسهموا في أزمة الماء، وازدحام الطرق والمواصلات وغلاء الأسعار بلا فائدة مرجوّة، ولا خير منتظر، والجيد منهم من لزم بيته ولم يؤذ الناس، ولكن المصيبة إذا تحول أحدهم إلى غدة سرطانية في باب المخدرات أو التفجيرات أو المنكرات.

نريد توعية شاملة عن مقاصد الإنجاب في الإسلام، انظر إلى سكان إسرائيل خمسة ملايين والعرب أكثر من ثلاثمائة مليون، وقد سامت إسرائيل إخواننا في فلسطين الخسف وسوء العذاب، وضربتهم جواً وبحراً وأرضاً، والعرب يتفرجون، ولا يحركون ساكناً، ولا يجلبون نفعاً، ولا يدفعون ضراً، إنما يملكون بيانات الشجب والتنديد والاستنكار. فهل ضر إسرائيل في عالم القوة قلة سكانها؟ وهل نفع العرب في العالم الدنيا كثرة سكانهم؟ أليس هذا غثاء السيل الذي أخبر به المصطفى ﷺ؟

إن الأمة الإسلامية دموع هادرة، وبحور هائجة، وسيول متلاطمة من الجماهير، ولكن أكثرهم أمي فقير عاطل عن العمل، فكيف تريد من هذه الأمة أن تصنع مجداً دنيوياً أو نصراً إسلامياً، وهي عجزت عن تربية أبنائها وتدريسهم وتوظيفهم وصارت أمة مستهلكة لصناعة وإنتاج الغرب والشرق.

إن الرسول ﷺ يكاثر بنا الأمم إذا كنا أتباعاً له بصدق، وأنصاراً له بحق، نحمل الأمانة، نفي بالعهد، نحترم الكبير، نرحم الصغير، ننصر المظلوم، نردع الظالم، نجتنب الحرام، نصدق في القول، نجد في العمل، نجتنب الغدر والخيانة والزور، نحمل روح الإخاء والصفاء، أهل همم عالية ومشاريع كبرى، وعمل صالح مثمر وإنتاج مفيد نافع، عندها يكاثر الرسول ﷺ بنا الأمم ويباهي بنا الشعوب.